

نظام الجمهورية الإسلامية والآفاق المشرقة

المكان: طهران

الحضور: أهالي مدينة قم

المناسبة: ذكرى انتفاضة التاسع عشر من دي

الزمان: ١٩/١٠/١٣٩٢ ش. ٧/٣/١٤٣٥ هـ. ٩/١١/٢٠١٤ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، والعلماء الأعلام، والفضلاء المحترمون، والشباب المتحمّس والمؤمن، وعموم شرائح أهالي مدينة قم، الذين أثبتوا — بشهادة أحداث التاريخ في الحقبة المعاصرة — تميّزهم، وامتزاج حماسهم بوعيمهم وشجاعتهم وجهادهم في الأحداث العظيمة والمصيرية طوال هذه الأعوام. رغم أن يوم التاسع عشر من دي يوم بارز ومنقطع النظير لأسباب متعددة، بيد أن تميّز أعمال أهالي قم الأعزاء ومبادراتهم لا تنحصر دون شك في يوم التاسع عشر من دي. ففي عهد ما بعد الثورة، وفي شتى الأحداث، وخلال فترة الحرب المفروضة، وفي الأحداث المهمة والمصيرية التي وقعت طوال هذه العقود، عندما نلاحظ دوركم يا أهالي قم نجد مكانة بارزة وممتازة على الدوام. ونشكر الله على هذا، فهو ما جعل مدينة قم — بوصفها قطباً لرجال الدين الشيعة والإسلاميين — تتجلى اليوم كرمز لعظمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. الذين يفكرون في القضايا المتعلقة ببلد إيران ونظام الجمهورية الإسلامية، ويدرسون ويبحثون ويعملون — سواء كانوا من أعدائنا أو من أصدقائنا — يركزون على مدينة قم، والحوزة العلمية في قم، وأهالي قم وأحداث قم. نتمنى من الله تعالى كما وفقكم إلى الآن أيها الأهالي الناشطون الرشيدون الفاعلون الأعزاء وأعانكم، أن يشملكم في المستقبل أيضاً — ولا مرء أن بلادنا في الآفاق المستقبلية أيضاً بحاجة للإرادات القوية والعزائم الراسخة والأقدام والخطوات الثابتة — بعونه وهدايته.

حول يوم التاسع عشر من دي، ما انفكّ المتحدّثون — على اختلاف اتجاهاتهم — والمفكّرون وأصحاب الرأي والبحث والنظر والاختصاص، ما انفكوا يتحدّثون ويدرسون هذه الحادثة من زوايا وأبعاد مختلفة، ويحلّلونها ويصفونها ويتحدّثون عن دورها وتأثيراتها. ومع ذلك أعتقد أن حادثة التاسع عشر من دي المهمة لا تزال جديرة بالتأمل والتدقيق. فثمة أبعاد في هذه الحادثة جديرة بالتحليل والذكر واستلهام الدروس منها. ومن هذه الأبعاد أن حادثة التاسع عشر من دي في قم هي مظهر وتجسيد الآية القرآنية الشريفة: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا

نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾. في هذه الآية القرآنية من سورة الروم المباركة — وعلى حد تعبير الله تعالى — تتجلى نصره المؤمنين كحق على الله، وقد استخدم سبحانه هذا التعبير في عدة مواضع من القرآن الكريم، من قبيل: ﴿عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ (٢) ومواضع أخرى منها هذه الآية الكريمة التي يقول فيها إنه حق علينا، أي على الذات الإلهية المقدسة لرب العالمين، نصر المؤمنين. طيب، في أية ظروف كان هذا؟ في أية ظروف قال سبحانه: إن المؤمنين ينتصرون؟ في ظروف لم يكن للمؤمنين فيها أية بصيص أمل على حسب ظواهر الأمور. لاحظوا هذه الآيات.. عندما كان أعداء جبهة الإيمان بقدراتهم الظاهرية وبمعداتهم وأجهزتهم الهائلة يقفون بوجه المؤمنين، وهناك صراع جهوي كبير على الأبواب.. في مثل هذه الظروف يقول عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يوم خرج شباب قم من طلبة العلوم الدينية ومن غير طلبة العلوم الدينية، ومن شتى شرائح الشعب المؤمن إلى شوارع قم وأزقتها للدفاع عن الإمام الخميني، وعن الحقيقة، وعن الراية المرفوعة للنضال ضد الطاغوت، ووقفوا أمام رصاص مرتزقة النظام الطاغوتي وأريقت دماؤهم على أسفلت الشوارع، لم يكن لأي واحد منهم ولا ممن حولهم تصور عما سيكون لهذه الحادثة من تأثير. إنما شعروا بالتكليف والواجب، وحملوا طاقاتهم وقدراتهم وكل ما لديهم ونزلوا إلى الساحة. هل كان أهالي قم يتصورون أن التاسع عشر من ذي سيكون مصدراً لهذه التطورات والتحويلات المتسلسلة من النضال والكفاح والاعتراضات، التي انتهت إلى هزيمة شعبية عارمة كبيرة حسمت الموضوع فثامياً؟ هل كان أهالي قم يظنون أن العمل الذي يقومون به سيكون مباركاً إلى هذه الدرجة؟ لم يكونوا يتصورون ذلك، ولكن: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سبب الانتصار هو أن جماعة — أو شعباً بالمقاييس الكبيرة — لها إيمان صحيح راسخ ومصحوب بالبصيرة، ويكون هذا الإيمان والبصيرة مصحوبين بالعمل والمبادرة، حينما تجتمع هذه الأمور سيكون النصر أكيداً. حين ترون في بعض الحالات أن هناك مؤمنين لا ينتصرون فالسبب هو إما أن الإيمان ضعيف، أو الإيمان غير صحيح — الإيمان بشيء يجب عدم الإيمان به — أو أن الإيمان غير مصحوب بالبصيرة في ما يتعلق بقضايا العالم والأمور الخيطة بهم.

عدم التوفر على بصيرة يشبه عدم التوفر على عيون. في مثل هذه الحالة سوف لن يرى الإنسان الطريق. نعم، لديكم عزيمة ولديكم إرادة ولكن لا تعلمون إلى أين يجب أن تسيروا؟ وهذا هو السبب الذي جعلنا نشدد كل هذا التشديد في أحداث التاسع من ذي على البصيرة، وقد ساء هذا بعض الناس. لو لا البصيرة فإن ذلك الإيمان قد يأخذ الإنسان إلى الطريق الخطأ. الذي لا علم له ولا بصيرة له بالأمور التي تحيطه وما يحدث حوله، قد يحدث أن يسير في الطريق الخطأ، فلا

تذهب كل طاقاته هدرًا وحسب، بل وتسير به في الطريق الخطأ. إذاً، لا بد من بصيرة. إذا توفر العمل الصالح القائم على أساس الإيمان الراسخ الصحيح.. الإيمان المصحوب بالبصيرة إلى جانب الاستمرار والمقاومة والاستقامة فإن النصر سيكون أكيداً. الذين لا ينتصرون يفتقرون لأحد هذه العناصر: إما عدم وجود الإيمان، أو عدم وجود الإيمان الصحيح، أو عدم وجود الاستقامة، أو عدم وجود البصيرة. وهكذا لا يسير الإنسان الطريق كله بل ينقطع عن المسيرة في منتصف الطريق، ولا يصل طبعاً للنتيجة المتوخاة. لقد وفرّ الشعب الإيراني هذه الشروط وحقّقها، فكان إيمانه صحيحاً؛ ولأن دليله كان دليلاً صادقاً و ماهراً وخبيراً، حيث كان فقيهاً عالماً وواعياً لقضايا العالم، ومنقطعاً عن المطامع والمصالح المادية الشخصية، وعالماً بالكتاب والسنة، فقد دلّ الناس على الطريق وسار الناس ببصيرة، وأدركوا ما الذي يجب فعله ففعلوه، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وكذا الحال اليوم أيضاً.

المهم بالنسبة لنا هو أن نتأمل وندقق في سلوكنا وفي ماضيها، ونستقي الدروس من نقاط ضعفنا ونقاط قوتنا. وكذلك هو الأمر في الوقت الحاضر. لا يتوهم أحد أن الذين وقفوا بكل قواهم في وجه الثورة الإسلامية قد أقلعوا عن ممارستهم اليوم، لا، لا يزالوا اليوم أيضاً على نفس وضعهم، وكل ما في المسألة أن أي عدو إذا اضطرتّه الظروف فسوف ينسحب ويتراجع. إذا أرغمتهم على التراجع فسوف يضطرون للتراجع، لكنهم لن يتراجعوا عن عدائهم. هذه هي القضية في العالم اليوم. يجب معرفة العدو، ويجب معرفة جبهة الأعداء، وينبغي عدم أخذ ابتسامات الأعداء مأخذ الجدّ أو الانخداع بها، ويتحتم عدم نسيان الهدف. هدف الجمهورية الإسلامية هو الوصول إلى مبادئ الإسلام ومطامحه، أي السعادة المادية والمعنوية للبشر، بمعنى التقدم في شؤون الحياة المادية والمعنوية. يجب عدم نسيان هذا الهدف، بل يجب متابعتة والتيقن بأن النصر أكيد ومحمّم؛ بفضل الإيمان الراسخ، ومواصلة الطريق، والبصيرة في الشؤون الحيطية والقضايا الجارية، والبصيرة تجاه العدو والبصيرة في ساحة العمل وفي جبهة النضال والكفاح.. يجب التنبّه لهذه الأمور. وهذا ما يدعوني للقول دائماً: إن الآفاق أمام نظام الجمهورية الإسلامية مشرقة، فشعب إيران — والحمد لله — وشبابه ورجاله ونساؤه ذوو إيمان وبصيرة، ويعرفون الأعداء، وهم إلى ذلك من أهل العمل والجدّ والإبداع. في أية قضية خاض شبابنا ولم يستطيعوا حلّ المسألة؟ في أي مجال من المجالات في هذا البلد، توقّرت لنا البنى التحتية، استطعنا أن نتقدم إلى الأمام. وهذا بفضل المواهب والقدرات التي أودعها الله تعالى في هذا الشعب المؤمن المتدين. وهذه هي طبيعة العمل والأمور، ومن الطبيعي أن نتقدم.. في المجالات العلمية والمجالات الاجتماعية، وفي ميدان البناء، وعلى الصعيد السياسي، وفي مختلف الميادين، أين ما وثقنا تقدّمنا. وكذا الحال في الوقت الراهن أيضاً.

توصيتي الدائمة للمسؤولين المحترمين هي الاهتمام بالطاقات الداخلية للبلاد؛ من أجل معالجة المشكلات، وعدم النظر للخارج. طبعاً يجب أيضاً معالجة القضايا الخارجية، فهذا مما لا شك فيه. الشعب الفعال والحكومة النشيطة والدولة المتوثبة نشيطة في كل المجالات، بما في ذلك القضايا الدولية والشؤون الإقليمية والقضايا الدبلوماسية، فهذا ضروري ولازم، لكن أملنا يجب أن ينعقد على الدعم والعون الإلهي، وعلى الطاقات الداخلية للشعب والبلد. هذه هي الضمانة والحصانة للبلاد.

تلاحظون في الوقت الحاضر أن أعداءنا - وهم طبعاً أساءوا دوماً معرفة شعب إيران ولم يعرفوه، ووقعوا في الخطأ دوماً، وهم يرتكبون نفس الخطأ في الوقت الحاضر، إنهم لا يعرفون شعبنا وبلادنا - يتوهمون أن الشعب رفع يديه أمامهم واستسلم بسبب ضغوط الحظر والحصار الاقتصادي.. لا.. أنتم على خطأ. هذا الشعب ليس شعباً يرفع يديه بعلامة الاستسلام، وهو شعب لم يستسلم حتى في ظروف أصعب من هذه. والنموذج الواضح والساطع والذي لا يقبل الإنكار لذلك هو ثمانية أعوام من الحرب المفروضة. فهل هذا بالمزاح والهزل؟ ثمانية أعوام! كل القوى العالمية ساعدت مجرماً ليعمل ضد البلد والشعب، وقد تغلب هذا الشعب عليهم جميعاً، فهل هذا بالعمل الصغير؟ هل هذا بالشيء الصغير؟ هناك أيضاً تجلّت «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ».. هناك أيضاً عملت العزيمة الراسخة والتصميم القاطع وتوظيف كل الإمكانيات التي من الله بها في ساحة العمل، عملت على حلّ العقد والمشكلات الواحدة تلو الأخرى. هل كان اليوم الأول من الحرب بالنسبة لنا مماثلاً لما بعد سنة أو لما بعد سنتين أو لما بعد ثلاث سنين؟ لقد توالت الفتوح الواحد تلو الآخر، وشاهد العالم كله أن أمريكا والاتحاد السوفيتي في وقتها وأوروبا والنااتو وبريطانيا وآخرين دعموا النظام البعثي وصدّاماً المجرم، عسى أن يتمكن من الاعتداء على بلدنا العزيز اعتداء دائماً، لكنه أخفق بعد ثمانية أعوام، واضطر - من دون أن يقترب حتى بمقدار شبر واحد مما أراده - إلى التراجع والانسحاب، بكل تلك الخسائر، وبكل أولئك القتلى، وبكل ذلك الخزي الدولي. وكذا الحال اليوم أيضاً.. اليوم أيضاً يمكن مواجهة عداء الأعداء وحل كل المعضلات والمشكلات بصمود الشعب، وبالاعتماد على القدرات الداخلية للبلد، وبالالتكال على الله الذي أعدّ القلوب هكذا، وهداها نحو هذا الاتجاه. طبعاً عندما ينظر العدو ويرى الشعب صاحب عزيمة وصمود، ومصمماً على المضيّ في طريقه إلى الأمام، فسوف يضطر للتراجع. سوف يثبت الشعب الإيراني لهم خطأهم هذا أيضاً، وهو أنهم يتوهمون ويقولون بأننا فرضنا الحظر فاضطرت إيران للتوجه نحو طاولة المفاوضات، لا، ليس الأمر كذلك. لقد أعلننا في السابق أيضاً، وقلنا قبل هذا الكلام أيضاً: إن نظام الجمهورية الإسلامية يتفاوض حول موضوعات خاصة يرى فيها مصلحة مع هذا

الشیطان؛ من أجل رفع شره، ولحلّ المشكلة، وليس معنى هذا أن هذا الشعب قد أصيب بالیأس..
أبدأً.

من بركات هذه المفاوضات الأخيرة أنها أبرزت عداة الأمريكيين ومسؤولي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لإيران والإيرانيين، وللإسلام والمسلمين، فثبت هذا للجميع وأدركه الجميع. تسمعون لهجاءهم وكلامهم، فهم حينما لا يفعلون شيئاً يقولون: لا نستطيع - وهم على حق، أي إنهم لا يستطيعون - ولو كنا نستطيع تحطيم كل لحمة وسدى الصناعة النووية الإيرانية لفعلنا ذلك، لكننا لا نستطيع. نعم، لا يستطيعون طبعاً. لماذا لا يستطيعون؟ لأن هذا الشعب أراد أن يقف على أقدامه في هذه القضية وفي كل القضايا الأخرى، وأن يصمد ويوظف إبداعاته ويتزها إلى الساحة وقد أنزلها. إذاً، العدو لا يستطيع فعل شيء، وهكذا الحال في كل القضايا. لقد تبين واتضح عداؤهم، وتبين عجزهم أيضاً، وهم يتخبطون ويترقون هذا الباب وذاك الباب. شخصياتهم السياسية وصحافتهم وأوساطهم السياسية راحت تعبر عن أحقادهم الداخلية القديمة، التي عبروا عنها دائماً بأشكال مختلفة طوال هذه الأعوام الثلاثين: قضايا من قبيل حقوق الإنسان، وقضية الإسلام، وقضية الالتزام بالمعايير الدينية.. هذا هو الكلام الذي يطرحونه اليوم.

أقول: حتى لو تحدّث أي طرف آخر عن حقوق الإنسان فليس من حق الأمريكيين أن يتحدثوا عن حقوق الإنسان؛ لأن الحكومة الأمريكية أكبر منتهك لحقوق الإنسان في العالم. وليس بالأمس فقط بل اليوم أيضاً، وفي الوقت الحاضر أيضاً. إنهم أشخاص يرتكب الكيان الصهيوني الغاصب كل هذه الشرور في المنطقة بدعمهم ومساندتهم. ما هو وضع فلسطين؟ في أي وضع يعيش الفلسطينيون؟ ما هو حال غزة؟ ألا يعلم الناس في العالم ما هي أحوال الناس في غزة؟ المريض الذي يحتاج للعلاج الفوري في تلك البقعة المظلومة من الأرض يبقى متروكاً لحاله ولا تصله حتى الأدوية البسيطة! لماذا؟ لأن أمريكا تقف وراء الكيان الصهيوني الغاصب وتسنده. يحاصرون بلداً وأناساً مظلومين من كل الأطراف فلا يبقى لهم منفذ إلى الخارج ولا تبقى لهم أية إمكانيات للحياة، ويبقى حتى مريضهم بلا علاج ولا دواء، ويبقى حتى جائعهم جائعاً بلا طعام.. يمنعون عنهم الأوليات والبدائيات من أسباب الحياة.. أليس هذا ظلماً؟ أليس هذا انتهاكاً لحقوق الإنسان؟ ثم تراهم لا يخجلون ويتفوّهون بكلمة حقوق الإنسان؟ ذلك الرجل عندما أراد أن يأتي إلى السلطة كان يعطي الشعب الأمريكي في دعاياته الانتخابية قبل خمسة أو ستة أعوام وعوداً من قبيل إغلاق سجن غوانتانامو، وقد مضت إلى الآن ست أو سبع سنوات، فهل تم إغلاق سجن غوانتانامو؟ هكذا هم.. ظلم الناس.. مهاجمة الناس.. وإطلاق طائرات من دون طيار في أفغانستان وباكستان وتقتيل الناس الأبرياء والآلاف من الجرائم ضد غير العسكريين في مختلف المناطق،

وأساليب إجرامية غير معروفة - فالكثير من جرائمهم لها أساليب غير معروفة عند الناس في العالم، وسوف تتضح في المستقبل - ثم تراهم يتحدثون عن حقوق الإنسان؟ إننا نحن أصحاب الدعوى ضد نظام الولايات المتحدة الأمريكية والكثير من الحكومات الغربية بسبب انتهاكاتها المتكررة والمستمرة لحقوق الإنسان. نحن أصحاب الدعوى ضدهم، ونحن الذين نحاسبهم ونسألهم ونمسك بتلابيبهم في محكمة الرأي العام العالمي، ولا جواب لديهم.

إذا أراد شعب إيران التحرر من مشكلاته المادية والمعنوية - المشكلات الأخلاقية والمشكلات الاقتصادية - فعليه الاستناد على نفسه، وعلى فكره، وعلى إرادته، وعلى إيمانه، وعلى شبابه، وعلى شخصياته، وأن يعتقد أن العلاج والحلّ من الله سبحانه وتعالى. واعلموا أيها الأخوة الأعزاء والأخوات العزيزات، وأهالي قم الأعزاء، وكل الشعب الإيراني.. لقد أثبت شعب إيران أنه سيتجاوز كل هذه العقبات، ويصل إلى هدفه بالتوكل والاعتماد على الله تعالى.

رحمة الله تعالى على إمامنا الخميني الجليل الذي فُض من قم، ووضع هذا الطريق أمامنا وأمام شعب إيران، وواصل هذا الدرب بهمته وإيمانه واستقامته وتوكله على الله، وتقدّم بنا إلى الأمام، ونحن جميعاً ملتزمون - إن شاء الله - في قلوبنا وفي ألسنتنا وفي أعمالنا بمواصلة هذا الطريق إلى نهايته. ورحمة الله على شهداء فترة الثورة، وشهداء الحرب المفروضة الأعزاء الأبرار إلى هذا اليوم، وعلى شهداء قم الأبرار، وعليكم جميعاً أيها الأخوة والأخوات الكرام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ - سورة الروم، شطر من الآية ٤٧ .

٢ - سورة التوبة، شطر من الآية ١١١ .